ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Dictionary of Poetic Topics among the Poets of the Second Pre-Islamic Class in the Book of Ibn Salam Al-Jumahi

Iman Farhan Ahmed Muhammad Hamad Mahmoud Muhammad Al-Dukhi

Tikrit University/ College of Basic Education/ Al-Sharqat

* *Corresponding author: E-mail* : kh.faisal20@st.tu.edu.iq

***Keywords*:**
Layers of the stallions of poets
Second class poets
Diwan of Oss
Bisher's Diwan

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	15 July 2024
Received in revised form	25 July 2024
Accepted	17 Aug 2024
Final Proofreading	4 June 2024
Available online	4 June 2024

E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

Throughout its existence, Arabic literature has presented a rich and varied collection of poetry, serving as a testament to the nation's achievements and triumphs. It offers a genuine portrayal of its people's lives and serves as a loyal witness to their poetic brilliance. It has consistently attracted poets from different eras. Due to the presence of skilled poets with a rich and meaningful poetic language, the study was titled "A Dictionary of Poetic Themes Among the Poets of the Second Pre-Islamic Era in Ibn Salam Al-Jumahi's Book". The study aims at analyzing the artistic constructional methods employed by these poets and how they conveyed their opinions, thoughts, feelings, and emotions through their poetry. The study utilized a comprehensive approach to examine and combine the linguistic levels and artistic branches found in a dictionary containing a rich vocabulary related to estrangement, alienation, and death. This unique collection of words sets the poet apart from those around them.

© 2024 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.31.6.2024.02

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

"معجم الموضوعات الشعرية عند شعراء الطبقة الجاهلية الثانية في كتاب ابن سلّام الجمحي"

إيمان فرحان أحمد محمد/ جامعة تكريت/ كلية التربية الأساسية/ الشرقاط

حمد محمود محمد الدوخي/ جامعة تكريت/ كلية التربية الأساسية/ الشرقاط

الخلاصة:

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله, النبي الأمين محمد (صلى الله عليه وسلم), وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الكرام الميامين, وعلى مَن سارَ على نهجه و اهتدى بهديه إلى يوم الدين, وبعد..

ضمَّ تاريخ الأدب العربي منذ نشأته الأولى شعراً خصباً ومتنوعاً ولازال سجلاً حافلاً بمآثر الأمة

وأمجادها وترجماناً صادقاً لحياتها, وشاهداً أميناً على عبقريتها الشعرية, حتَّى اصبح قبلة الشعراء في مختلف العصور, فوقع اختياري على الطبقة الثانية الجاهلية؛ لما فيها من شعراءٍ فحول يمتلكون لغةً شعريةً مفعمة بالألفاظ والمعاني, وهكذا اتجه العزم على أن يكون عنوان الدراسة (معجم الموضوعات الشعرية عند شعراء الطبقة الجاهلية الثانية في كتاب ابن سلام الجمحي), وإنَّ دراسة لغة الشعر تعني طريقة البناء الفني عند شعراء هذه الطبقة, وكيف عبروا فيها عن آرائهم وافكارهم ومشاعرهم وانفعالاتهم, واستندْتُ في هذه الدراسة على منهجٍ تكامليٍّ في تحليل وموازنة مستوياتهم اللغويَّة وتفرعاتها الفنيَّة من معجم مليء بمفردات الغربة والاغتراب والموت, التي تُميز الشاعر عن غيره, فكانت حصيلة هذه الدراسة مفردات وسياقات وأساليب متميزة تليق بفحولتهم ومكانتهم التي صُنفوا على اساسها في الطبقة الثانية.

وختامًا فإنني لا أَزعمُ الكمال لهذا البحث، فالكمال صفة لله وحده, وآخر دعوانا أَن الحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كلمات مفتاحية: طبقات فحول الشعراء، شعراء الطبقة الثانية، ديوان أوس، ديوان بشر

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله, النبي الأمين محمد (صلى الله عليه وسلم), وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الكرام الميامين, وعلى مَن سارَ على نهجه و اهتدى بهديه إلى يوم الدين, وبعد..

ضمَّ تاريخ الأدب العربي منذ نشأته الأولى شعراً خصباً ومتنوعاً ولازال سجلاً حافلاً بمآثر الأمة وأمجادها, وترجماناً صادقاً لحياتها, وشاهدا أميناً على عبقريتها الشعرية, حتى أصبح قبلةَ الشعراء في مختلف العصور, وكان معجم الموضوعات الشعرية في مقدمة الخزين الذي وصل إلينا؛ فهو خلاصة تجربته, وتكمن أهميته في معرفة ما مرَّ به الشاعر من غربة وحزن وموت, فكان خير دليل على ما مروا به, وقد تقسم البحث على مبحثين: الأول: الغربة والاغتراب، أما الثاني: الموت.

الغربة والاغتراب

يُمكن القول بعد القراءة المتفحصة في المعاجم اللغوية أنَّ لفظة الغربة والاغتراب جاءتْ بمعنى واحد؛ فكلاهما يدلُّ على البعدِ والنوى, ففي العين حملت لفظة الغربة والاغتراب المعنى ذاته[١], كذلك الحال في لسان العرب: ((فالغرب الذهاب والتنحي عن الناسِ, واغتربَ الرجل أي صارَ غريباً[٢], والغربة: ((النوى والبعد والتنحي عن الناس والتغريب عن البلدان والأوطان وغرَّبَ في الأرض أغرب, إذا أمعنَ في البعد, وأغربَ صارَ غريباً))[٣].

إنَّ ظاهرة الغربة في المجتمع الجاهلي ظاهرة طبيعية تتطلبها طبيعة الحياة الجاهلية القائمة على التنقل المستمر, وهي حاجة فرضها واقع شبه الجزيرة العربية بكلِّ ما فيه في موقعه الجغرافي وفي صحاريه, وحرارتهِ, وفي نظامهِ السياسي القبلي, وقد ولَّدتْ هذه العوامل الشعور بالغربة, فالحياة الرعوية التي يعتاشها الجاهلي التي تجعله في ترحالٍ دائمٍ بحثاً عن مسببات العيشِ سبباً مهماً في غربتهِ فضلاً عن العوامل النفسية ويَصِحُّ أنْ نسميها تقلبية زمنية, كالتقدم بالعمر, وتغير الدهر, وبعد الوصالِ معَ الأحبةِ, ثمَّ أنَّ هناك عاملٌ مهم, ومسبب أساسي في بواعث الغربة, يمكننا أنْ نُسميهِ بـ(العامل الذاتي), مثلاً: الشاعر الذي يولد لأمٍّ سوداءٍ يظلُّ لونه يلاحقهُ ويعيش التنكر القبلي, وخيرُ مثالٍ على ذلكَ: عنترة العبسي, الذي عاشَ الاغتراب العنصري والعرفي, وتنكَّرتْ لهُ قبيلتهُ بما في ذلك أبوه وعمه؛ بسببِ سوادِ لونه وعبوديتهِ, حتى شعرَ بغربتهِ بينَ أهلهِ وأحسَّ بالهوانِ والضياعِ, وعدم توافقه مع قيم مجتمعهِ, وقالَ في ذلكَ: [الطويل]

يعِيبونَ لوني بالسوادِ جهالةً ولولا سوادُ الليلِ ما طلعَ الفجرُ(٤)

وهنا لابدَّ من القولِ أنَّ مجتمع شبه الجزيرة العربية مجتمعاً قبلياً طبقياً, يتعامل على أساسِ الطبقاتِ؛ ولهذا نجدُ أنَّ أغلب قاطنيهِ شعروا بالغربةِ, فالصعاليك مثلاً: تصعلكوا عندما عاشوا الغربةَ في قبائلهم, فمنهم مَنْ رفضوه لسوادِ لونهِ, ومنهم مَنْ عاشَ التمييز الاجتماعي؛ لذلكَ تمردوا على هذا النظام(٥), وفي ظل هذا النظام القبلي يقولُ ماركس في نظريتهِ: ((الاغتراب هو نتيجةُ العيشِ في مجتمع طبقيٍ, والاغتراب على الذاتِ هو نتيجة كون الإنسانِ جزءاً مكانياً من الطبقة الاجتماعية, وهو وضعٌ يجعلُ الفردَ يغتربُ عن إنسانيتهِ))(٦), هذه المسببات هي الأساسية في الاغتراب, فالشعور المؤلم الذي يرافق بعدَ الأهلِ, أو رحيل الحبيبةِ, والعجز عن تحقيق الذاتِ؛ سبباً في غربة الإنسانِ, والذي تصل به الحالُ, أن يرى الحياةَ بلا معنى, وإنَّها تسيرُ وفقَ منطقٍ غير مفهومٍ, تؤدي بهِ أحياناً إلى العزلة الاجتماعية, حتى تصلُ بهِ إلى غربةِ الذاتِ بحيثُ يصبحُ غيرَ قادرٍ على التواصلِ معَ نفسهِ, ولنعرضُ انموذجاً عنِ الغربةِ والبعدِ والترحالِ, وأخصُّ بالذكرِ رحيل الحبيبة ونأيها؛ لأنَّي وجدتُ أنَّ كلَّ الشعراءِ عاشوا غربةَ البعدِ والفقدِ؛ بسبب طبيعة الحياة المفروضة عليهم, والتي فرضتها حياة شبه الجزيرة العربية, ووجدْتُهم قد عبَّروا عن فقدِهم بمفرداتٍ وصورٍ تكادُ تكون متشابه في موضوعاتِها ولاسيما شعراء الطبقة الثانية الجاهلية في كتابِ ابن سلام.

ونبدأ بأوس وأشعاره ذات الجودة العالية في شكلها ومضمونها:[الكامل]

حَلَّتْ تماضرُ بعدنا ربَبا فالغَمْرَ فالمُرِيَّنَ(٧) فالشُّعَبا(٨)

حـــلتْ شاميَّة وحلَّ قســاً أهلي فكانَ طلابها نَصَبـــا

لحقتْ بأرضِ المنكرينَ ولمْ تمكن لحاجةِ عاشقٍ طلبـــا

شبهتُ آياتٍ بقينَ لهـــــا في الأولينَ زخارفاً قُشِبـــا(٩)

يفتتحُ أوس قصيدتهُ على عادة الجاهليين بذكر محبوبتهِ "تماضر" وذكرَ الأماكن التي كانت تقطنها, ويبين أمر طلبها الذي باتَ صعباً عليهِ, ونستدلُّ على ذلك مِنَ الافتتاحِ بالفعل الماضي: (حَلَّتْ), أي نَزَلَتْ, ثمَّ يصور تلكَ الأماكن وما بقي منها مِن آثارٍ, ويُشبه تلكَ الآثارَ بالزخارفِ القشبِ, أي الزخارفُ الجديدةُ التي لمْ تَنْدَفِعْ, ويُحاولُ قدر الإمكانِ أنْ لا ينفكَّ عنها وعن تلكَ الإيامِ التي عاشوها معاً, وبعدها يُشبِّه النعام التي نَزَلتْ تلكَ الديارَ بالنساءِ اللاتي كُنَّ ينزلنَ تلكَ الديارَ, وجاءَ التشبيهُ مصرحاً بالفعل الماضي (شَبَهْتُ), مضافاً إلى ضمير الرفع المتحرك؛ ليوحي بمخاطبةِ النفسِ وتسلية الروح, وفي هذا الشأن أيضاً يقول: [البسيط]

ودِّعْ لميسَ وداعَ الصارمِ اللاحي إذْ فَنَّكَتْ في فسادٍ بعدَ إصلاحِ(١٠)

تفيضُ هذه الصورة بالمعاني النفسية المفعمة بمشاعر الأسى والفجيعة التي خلَّفها رحيلها, والغربة التي أنتجها هذا الرحيل, ومما زادَ عليه غربته إصرارها على القطيعةِ بعدَ وصالٍ طويلٍ اتسمَ بالمحبةِ والودِّ.

وشابه أوساً بشرٌ في وصف الغربة والرحيل والانقطاع, فتشابهوا بطرحهم لشدة الرحيل وتقاربوا حتى في أوزانهم, فاستخدموا البحور ذات النفس الطويل لتوائم وتعبر عن تلك المعاناة وتحتوي آلام غربتهم وفراغهم, وقال بشرٌ :[الوافر]

تَغَيْرَتْ المنازلُ بالكثِيـــبِ وعفى أيها نَسْجُ الجنـــوبِ

منازلٌ من سُليمى مقفراتٌ عفاها كلُّ هطَّالٍ سكـــــوبِ

وقفْتُ بها أُسائلها ودمعي على الخدينِ في مثلِ الغروبِ

ناءَتْ سلمى وغيَّرها التنائي وقد يَسْلو المحبُّ على الحبيبِ(١١)

صَدَّرَ الشعارُ قصيدتَهُ بالفعل الماضي الدالُّ على الانصرام والانقطاع ؛ لِينَبْئنا بالرحيلِ والبعدِ مازجاً ذلكَ بإسلوبٍ جميلٍ ذي النغمة الحزينة فهذه الغربة قد آلمتهُ وأوجعتهُ, ونجدهُ يُكرر كلمة (سلمى)؛ لِيدلَّ على القرب المكاني والقلبِ ما بينَ سلمى والشاعر, وهذا التكرار يؤكد بما لا يدع الشك بأنَّ سلمى قد ملكتْ قلبهُ؛ لذلك حوَّلَ دموعهُ وآهاتهُ إلى كلماتٍ تنطقُ باسمها علَّها تُطفِئُ نارَ اللوعةِ والشوقِ, التي لا يطفئها إلَّا اللقاءُ, وتستمر المعاناة فتكثفتْ عليه آلام غربته بعد الرحيل, فيقول: [الوافر]

وآذَنَ أهلُ سلمى بارتحــالٍ فما للقلبِ إذا ظعنوا عـــــزاءُ

فلمَّا أدبروا ذَرَفَتْ دموعــي وجَهْلٌ مِنْ ذوي الشيبِ البكــاءُ

كأنَّ حُمُولَهم لمَّا استقلّــوا نَخِيلُ مُحَلَّمٍ فيها انْحنـــــــاءُ

وفي الأظعانِ أبكارٌ وعُونٌ كَعِينَ السدرِ أوجُهُها وِضَـــاءُ(١٢)

تقوم شعرية هذه الأبيات على شعور الذات برحيل الحبيبة, وما سبب له من عذابٍ نفسي ومثلَّها بالعين التي ما انفكت تذرف الدموع حزنا ولوعةً, لتباري القلب المرتاع ألماً وفقداً, وبهذا الوصف تتجلَّى كمية الغربة التي عاشها بشر برحيلها.

ولننظر إلى كعب كيف تناول موضوع الغربةِ, قال:[الطويل]

أمِنْ دمنةَ قفرٍ تعاورها البلـــى لعينك أسرابٌ تفيضُ غروبـــــــا

تعاورها طول البلى بعد جـــدةٍ وجرَّتْ بأذيالٍ عليها جَنُوهـــــــا

فلمْ يبقَ فيها غيرُ أمنٍ مُذعذعٍ ولا مِنْ أثافي(١٣) **الدَّارِ إلَّا صليبهـــا**(١٤)

في تشكيلة موسيقية خفيفة على السامع, جميلة البناء أجهشنا بها كعب في مقطوعتهِ التي ابتدأها بـ اسلوب الاستفهام المملوء بالحزن , والشعور بالغربة, فبدأ بمناجاةِ الأطلال التي جارَ عليها الدهر وتناوبت عليها الظروف فأصبحت خالية من أهلها, وجعلتْهُ يذرف الدموع متحسراً على مكانٍ أصبحَ غريباً فيه عاجزاً عن عودة الحياة إليه؛ ولذلك فهو يبدأ بالجملة الاسمية؛ للدلالة على ثبوت هذه الغربة, وتعلقاً بها , يقول: [المتقارب]

أَمِنْ دِمْنَةِ الدَّارِ أَقْوَتْ سِنِينا بَكَيْتَ فظَلْتَ كئيباً حزينـــا

بِها جَرَّتِ الرِّيحُ أَذْيالَـــــــها فلمْ تُبقِ من رسمِها مُسْتَبِيْنا(١٥)

ينطلقُ الشاعر في هذه الأبيات من رؤية مأساوية تعبر عن شعوره بالغربة والحزن تجاهَ الطلل, ويخاطب نفسه بعدم جدوى البكاء أمام الأطلال ومما عمق احساسه بالغربة وكان سببا في بكائه هو رؤيته آثار الأحباب(الدمن) أصبحت من الماضي.

ومثلهُ الحطيئة الذي صوَّرَ الغربةَ أحسنَ تصوير , : [البسيط]

يا دارَ هندٍ عَفَتْ إلَّا أثافيـــــــها بين الطويِّ ففَصاراتٍ فَوادِيها

أرى عليها وليٌّ ما يُغـــــــــــيرها ودِيمةٌ حُلَّلَتْ فيها عَزَالـــــيها

قد غيَّرَ الدهرُ من بعدي معارفها والريحُ فادَّفنتْ فيها مغانيـــها[١٦]

إنَّ وقفة الشاعر أمام الدار وندائها واستحضاره للصورة التي كانت عليها في الماضي, تصويراً دقيقاً لغربته, فلم يبقَ إلا الآثار التي أتلفتها الرياح والأمطار والدهر حتى صارت كالثوب البالي, وهنا يمكن أن نقول أن الحطيئة شابه كعباً, فمعجمهما الشعري عينه, وخاصة الدمنه والدار والأثافي, وأنَّ الحالة النفسية كادت أن تكون متشابهة, وأن كان كعب قد ذرف الدموع لرؤية الدمنة المقفرة, فالحطيئة شبّه حاله بحال مَن لدغته الأفعى؛ ألماً لغربته, وله أيضاً:[الطويل]

ألا حبذا هندٌ وأرض بها هندُ وهندٌ أتى مِنْ دونِها النأيُ والبعـدُ

وهندٌ أتى مِنْ دونِها غـواربٍ[١٧] **يُقمَّصُ بالبوصيّ**[١٨] **مُعْرَوْرَفٌ وَرِدُ**[١٩]

نجدُ الحطيئة الذي عاشَ حياةَ الترحالِ, أنَّهُ دائماً يشعرُ بالغربةِ والبعدِ, وشكَّلتْ صورةُ المرأةُ عنده الحياةَ القاسيةَ التي يعْتَاشها نتيجة الترحالِ ووصفها وصفاً جميلاً جسدَ تلك الغربةِ على شكل نصاً أدبياً متكاملاً كأنهُ كائناً حياً كامل الأجزاء لا يُستغنى عن عضوٍ أو جزءٍ منهُ فهو يكمل بعضه بعضا, وأجدُ الشاعرَ يكرر اسم هند مرتبطاً بالبعدِ والنأي؛ ليُعبر عن حجمِ فراغهِ في نفسهِ دونها, فكلُّ أرضٍ يحلُّ بها دونَ هندٍ هو فيها غريب.

وهنا أؤكد على إنَّ جميع شعراء الجاهلية عاشوا الغربةَ والفراق وإنْ كانوا في أماكن مختلفة أو حياةٍ مترفةٍ, أو صعبة, فللاغتراب نصيباً من شعرهم؛ فقد شقَّتْ عنه قرائحهم بما أدت لهم ملكتهم الشعرية, والاغتراب واحد عندهم مهما تنوعوا طبقياً واجتماعياً وثقافياً؛ لذلك جاءت اشعارهم متقاربة.

"الموت"

لكلِّ شاعرٍ رؤية خاصة يعبر فيها عن قضية موضوعية في عصره, وإنَّ قضية الموت شكلت جزءاً كبيراً من وجوده, و احتلَّ القلق والخوف والحيرة حيزاً كبيراً من تفكيره في هذه القضية التي شغلتِ الجاهلي بصورة عامة, فما بالك بالشاعر الذي له فلسفته ونظرته الخاصة اتجاههُ, فربطَ كل تفكيره ومعتقده وسلوكياته بهذه الفكرة, فوقفَ عندَ الموتِ وفكر فيه وتأملهُ وانتهى به إلى حقيقة أنَّ الأمر محتوم ولا بدَّ منه, وأنَّ الموت انقطاع لهذه السلسة المتصلة من الايام والليالي التي تُسمى الحياة, وأيقنوا أنَّ الحياة متاع نافد وهي عارية ترد لأصحابها, ومثلها المال والشباب والأهل[٢٠], وأخذَ ينظر إلى: ((الأحياء التي تحيط به كيف يأخذها الموت, ويلفها الغياب بعدَ أنْ كانتْ ناعمةً بالحياة, ولم تكن لديه فكرة واضحة عن مصيره ومصير أحبته الذين تعلَّق وجدانه بهم بعد موتهم؛ لذا ظلَّ شعرياً يحاول أن يدفعَ

الغياب عنهم, فأحياناً يبرز فضائلهم, وأحياناً يخاطبهم, كأنَّهم حاضرون معهُ, يشهدون لحظة لوعته وهو يرثيهم, وأحياناً يجلي صورة ماضيهم الجميل بكل ما فيه من فرح وسعادة وحياة))[٢١]؛ ولذلك كانوا يهربون من الواقع بشرب الخمر , ولاسيما في الجاهلية المتأخرة؛ هرباً من الحياة التي كانوا يرونها قصيرة, وإنَّهم يتوقعون الموتَ يوماً بعدَ يوم؛ ولذلك كانوا يريدون أن يتمتعوا في هذا العمر القصير بملذات الدنيا, وكانوا يعدون أنفسهم أمام عدوٍ غاشم يتربص بهم, وهم في حربٍ دائمة معه؛ لذلك نراهم يُكثرون من شرب الخمر ؛ للتخفيف من التفكير فيه؛ ولأنَّ اعتقاد الشاعر بأنَّ الحياة هي حياة واحدة ولا شيءَ ورائها, فليتلذذ ما أمكن وما استطاع[٢٢].

وللبيئة الأثر الأكبر على أصحابها وتطبع تفكيرهم بطابعها وتصبغ إلى حدٍ بعيد مشاعرهم وأحاسيسهم بصبغتها, وكانت بيئة العرب قبل الإسلام هي بيئة صحراء شبه الجزيرة العربية, التي أثرت في سائر نواحي حياتهم المادية والفكرية والعاطفية؛ ولأنَّ في ذلك العصر لم يكن بوسع الإنسان أن يسيطر على هذه الصحراء ليتجنب الكثير من أخطارها, ولم يكن له بد من الشعور بالرهبة أمام أتساعها وترامي أطرافها, وبالخوف من صعوبة طبيعتها ووعورة مسالكها, أضافة إلى ذلك فإنَّ تضاريس شبه الجزيرة العربية بين جبالٍ مرتفعة ووديان منخفضة, أدى إلى اختلافٍ مناخي بين أجزائها, فالحرارة ترتفع في الأجزاء الداخليةِ, وفي المناطق المنخفضة في الصيف, وباردة جداً في الشتاءِ؛ ففي الشتاء يسد الضبابُ الأفقَ, ويشتبهُ النهارُ بالليلِ؛ فتتعذرُ الرؤيةُ ويصبح الهلاكُ أمراً محتملاً, وكذلك يتولد من الصحراءِ عواملٌ أخرى تجعلُ الإحساسَ بالموتِ عندَ الجاهليينَ قوياً, فالمصدرُ الوحيدُ للمياهِ فيها كانَ المطرُ والعيونُ, وهو سرُّ الحياةِ , ضفْ إلى ذلك حرارةَ الجوِ ووعورة المسالكِ وصعوبةَ الطرقِ؛ كلُّ هذا جعل الإحساس بالموتِ والخوفِ من الهلاكِ يملأ حياة شبه الجزيرة العربية, كذلك أنتشارُ أنواع الحيوانات المفترسة, كالأسد والذئب والضبع, وأنواع من الحيوانات القاتلة, مثل الثعابين[٢٣].

فقد صور الشعراء الجاهليون هذه الصحراء الرهيبة التي يتخيل الموت كامناً في كلِّ شبرٍ منها, فعبروا عنه بطريقة درامية متمكنة في كل جوانبها اللغوية والبلاغية والاسلوبية, وهنا لابدَّ أنْ أخصَّ بالذكرِ شعراء الطبقة الجاهلية الثانية التي كانت لهم رؤية خاصة في الموت, فأوس الذي دائماً ما يبهرنا بإشعاره ذات الجودة العالية في جميع تشكيلاتها؛ ليخرج لنا صورة غاية في الجمال, وله في ذلك:[المنسرح]

أيتها النفسُ اجملي جزعا إنَّ الذي تحذرينَ قد وقعا

إنَّ الذي جمعَ السماحةَ والنـ جدةَ والحزمَ والقوى جُمعا[٢٤]

يُبهرونا أوس بهذا الابتداء التفجعي حزناً على فراق مَن يحب الذي غيبه الموت, نداءً فلسفياً قائم على الخوف من الموت الذي طالما بثَّ الرعب في نفوسهم, وقد افتتح قصيدته بـ (أي) للنداء ملحقاً بها (ها) التنبيه؛ لتهيئة النفس لهول الفاجعة, كان موفقاً في وصف فاجعته التي تركت آثارها على النفس الكليمة ولم يجد مَن يواسي شعوره سوى أن يجرد من نفسه هذه المآسي, فيناديها هذا النداء المتغاضي عن الحواجز اللغوية التي يُقيمها حرف النداء, ثمَّ يأمرها بإجمال الجزع؛ فقد وقع الذي كانت تحذره, وقد طغى شعور الحزن على الشاعر خوفاً ورهبة منه, وأدرك حقيقة الموت وأنَّه واقع لا محال عنه, قال:[البسيط]

ولا محالةَ مِنْ قَبْرٍ بِمَحْنِيةٍ وَكَفَنٍ كَسَراةِ الثورِ وضاحِ[٢٥]

قد أدرك الشاعر أنَّ الموتَ آتٍ لكِّلِ مخلوق, فهو يعود نفسه على فكرة الموت التي تسيطر على رؤيته للحياة؛ لذلك هو يستمتع بها ولا يبدي اعتباراً لمَنْ يلمه.

وهذا بشر في رثائه لأخيه سمير ينظر إلى الموت على أنه قوة مسيطرة لا تجاريها أي قوة ولا تجابهها, وما على الانسان إلا أن يذعن صاغراً مستسلماً لهذا المصير المحتوم, حيث يقول[٢٦]:[المنسرح]

أمسى سمير قد بان فانقطعا يا لهف نفسي لبينه جزعـــــا

قومـــاً فنوحاً في مأتمٍ صحلٍ[٢٧] على سمير الندى ولا تدعـا

ثمَّ انداه لكلِّ مكرمـــــــــــةٍ لا مسنداً عاجزاً ولا ورعـــــا

كان لنا باذخاً نلوذ بـــــــــه أمسى رماهُ الزمانُ فاتضعـــا[٢٨]

بدأتْ أبياتُ الرثاءِ هذه بالفعل الماضي (أمسى) لتدلُّ على الانقطاع الصارم والمنتهي عن الحياة, وإنَّ استخدامه إياها ينذر بفزعٍ داخلي من تهاويل المساء ورهبة الليل, ثمَّ تتدفق الأفعال الماضية (بانَ, وانقطعَ) لإظهار مدا هول الصدمة على النفس مِن الفراق والانقطاع, ثمَّ ينهي بيته باستعمال الاسم (جزعاً)؛ ليحيطَ هذا البيت بسوارٍ من الفزعِ والخوفِ والحسرة على الفراق, ويستمر بحلقةِ النواح والصراخ لخسارة سمير؛ مجملاً ذلك الألم بتعبيرٍ بليغ بقوله (لا تدعا) الذي ينهي ترك الصياح والنواح, ثمَّ نلاحظه قد أكثر من استعمال الأفعال الماضية؛ دلالة على الانقطاع عن الحياة ومواجهة المصير المرعب (الموت), وله أيضاً: [المنسرح]

أوْدَى فلا تَنفَعُ الإشَاحةُ مِنْ أمْرٍ لِمَنْ قد يحاولُ البِدَعا[٢٩]

أودى به الموت هنا ولا ينفع التصدي لهذا الأمر الجلل, وأنَّ استعمال الشاعر للتركيب(قد + الفعل المضارع: يحاول) يكثّف من روح اليأس والشك في جدوى أي محاولة ضدَّ الموت, فالاستسلام هو الأمر الواقع.

أمَّا كعب فكانت له رؤيا مغايرة لشعراء طبقته, فكان يرى الموتَ حقيقةً لا مفرَّ منها, يقول في ذلك:[الوافر]

أن يدركَكَ موتٌ أو مشيبٌ فقبلك مات أوامٌ وشابـــــوا

تلبثنا وفرطنا رجـــــــــالاً دعوا وإذا أناموا دعوا أجابوا

وأنَّ سبيلنا لسبيلِ قـــومٍ شهدنا الأمر بعدهم وغابـوا(٣٠)

لا ينكر كعب الموت وأنَّه يطول كلَّ إنسانٍ؛ فكلنا سنموت, ولكنه هنا يقف معَ الحياة التي يراها هي الاصل, وقد خالف ما جاء عليه غيره؛ فقد جعل الحياة هي الأصل والموت حقيقةً لا مهربَ منها, ويقول:[البسيط]

أعلمُ أنّي متى ما يأتني قدري فليسَ يحْبِسُهُ شُحٌّ ولا شَفَقُ(٣١)

في هذه الأبيات اقرار واعتراف كعب بأنَّهُ لا رادَّ لقضاء الله وقدره, فالموت حقيقة , ويجب الأخذ بالأسباب والابتعاد عن الضرر.

والحطيئة الذي يبرع في تناوله هذا اللون فيقول:[الطويل]

أولئك آباء الغريب وغاثةُ الص ريخُ ومأوى المرملين الـــــــدراقُ

أحلّوا حياض الموت فوق جباههم مكان النواصي من وجوه السوابقُ(٣٢)

عندما يحلون الموت فهذا يعني أعلى درجات الشجاعة؛ لأنهم لا يذكرونه بالعادة إلا تطيراً وجزعاً؛ ولكن جاءَ هنا بصورة مخالفة تماماً؛ فهو يمتدحُ هؤلاء القوم بالشجاعة وعدم الخوف من الموت مفتتحاً ذلك بـ (أولئك) الدالة على الإرادة, فهم يصنعون حياض الموت فوق جباههم؛ لتكون علامةً وغرةً في جباههم, مثل ما كانت ناصية الخيل السوابق دالَّةً على شهرتها, وعلى هذا كانت قوة الصورة في التشبيه المركب الإضافي نابعة من هذه العلاقة التلازمية بين المضاف والمضاف إليه, الذين يمثلان طرفي الصورة, ويعدُّ هذا من محاسن التشبيه, ويمكن أن نسميه تشبيهاً بغيرِ أداةٍ, وهذا ما يعمدُ إليه الشاعر حصين الشعر متينه الحطيئة, ويقول:[الطويل]

وشرُّ المنايا هالِكٌ وَسْطَ أهْلِهِ كَهُلْكِ الفتاةِ أيْقَظَ الحيَّ حاضِرَهْ[٣٣]

وردتْ لفظة (شر) للتفضيل وقصدَ أشرَّ المنايا موت الرجل في بيته وعلى فراشه, مشبهاً إياه بموت الفتاة عند أهلها وعلى فراشها, فهذا موتٌ لا يشرف الرجل ويدني من منزلته, فالموت رغمَّ خشيته إلَّا أنَّهم يفضلون الموت في المعركة على الموت مثل النساء في البيوت؛ وذلك لمنزلة المقاتل عند العرب لشجاعته في مواجهة الموت نفسه.

وهنا لابدَّ القول أنَّ شعراء الطبقة الثانية عبروا عن فلسفة الموت بطريقة درامية, فحين قرأنا أشعارهَم شعرنا أننا أمام ملحمة غيبَ أبطالها الموتُ؛ لأنهم كانوا يرثون من يحبون بطريقة خيالية يغلب عليها الاتجاه الانساني بكل جوانبه التقديسية, وانا أستطيع أن أقول أنني وجدتُ نفسي أمام معاتبة قاسية أفرادها بطل شامخ وعدو غادر اسمه (الموت), فوجدتهم يرسمون ذلك بصورة دقيقة في جميع تشكيلاتها من لغة ألفاظ وبلاغة وخيال, وجدته وصفا متكامل البناء, ووجدتهم متشابهين في نظرتهم إلى الموت, صورة تكاد تكون متفق عليها فيما بينهم, فنظرتهم له واحد وفلسفتهم واحدة إلا كعب فكانت نظرته مغايرة لشعراء طبقته وأستطيع القول لأغلب الشعراء الجاهليين الذين تذرعوا منه خوفاً, خلافا له الذي كان يراه حقيقة حتمية لا مهرب منها.

الخاتمة

كانت حصيلة البحث عدة مسائل أجملها في النقاط الآتية:

١- عاش الشعراء الجاهليون الفراق والغربة, وإن كانوا في أماكن مختلفة, أو حياة مترفة.
٢- كان للاغتراب نصيباً من شعرهم, فهو واحدٌ عندهم حتى وإن تنوعوا طبقياً واجتماعياً وثقافياً.
٣- كانت نظرتهم للموت متفق عليها فيما بينهم وأن خالفهم كعبٌ؛ لأنه الصورة الموحشة الحتمية التي لا مفرَ منها.
٤- عبَّروا عن فلسفة الموت بطريقة تقديسية ومعاتبة قاسية, فأنتجت صورة دقيقة في جميع تشكيلاتها.

الهوامش

[١]) ينظر: كتاب العين, لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ), المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي, الناشر: دار ومكتبة الهلال: (غرب): ٤٠٩/٤.
[٢]) لسنان العرب: (غرب): ٦٣٩/١.
[٣]) الحنين والغربة في الشعر(الحنين إلى الأوطان), ليحيى الجبوري, ط_١, ٢٠٠٨, دار مجد لاوي للنشر والتوزيع_ عمان_ الأردن: ١٧.
[٤]) ينظر: وديوان عنترة, تحقيق ودراسة محمد سعيد, الناشر: المكتب الإسلامي, ط_١, ١٩٦٤م: ٦٦,٦٧, والغربة في الشعر الجاهلي, لعبد الرزاق الخرشوم, منشورات اتحاد الكتاب العرب, دمشق ١٩٨٢: ٢٠.
[٥]) ينظر: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي, ليوسف خليف, دار المعارف ط_٣٤: ٤.
[٦]) نظرية ماركس في الاغتراب أو الاستلاب, الموسوعة الحرة.
[٧]) مثنى مر, وهما ماءآن لغطفان, ينظر: لسان العرب: (مرر): ١٦٦/٥.
[٨]) الشعب: ماء ما بينَ العقبة والقاع في طريق مكة, تهذيب اللغة: تهذيب اللغة, المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ), المحقق: محمد عوض مرعب, الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت, ط_١، ٢٠٠١م: (ع ش): ٢٨٣/١.
[٩]) ديوان أوس بن حجر, تحقيق: محمد يوسف نجم, دار بيروت للنشر, ١٩٨٠: ١.
[١٠]) ديوانه: ١٣.
[١١]) ديوان بشر بن أبي خازم الاسدي, تحقيق: عزة حسن, دمشق_ مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم, ١٩٦٠: ٣٢.
[١٢]) ديوانه:١٩.
[١٣]) أثف: الأُثْفِيَّةُ والإِثْفِيَّةُ: الْحَجَرُ الَّذِي تُوضَعُ عَلَيْهِ القِدْرُ، وَجَمْعُهَا أَثافيُّ وأَثافٍ, لسان العرب:(أثف):٣/٩.
[١٤]) ديوان كعب: ١٣.
[١٥]) ديوانه: ٥٧.
[١٦]) ديوان الحطيئة: ٢٤٠.
[١٧]) غوارب: أعالي، وغارب كل شَيْءٍ: أَعْلَاهُ، كَأَن لَهُ عُرْفاً من تراكبه، يقمِّص، أَي كَمَا يقمِّص الْبَعِير, جمهرة اللغة, المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ), المحقق: رمزي منير بعلبكي, الناشر: دار العلم للملايين – بيروت, الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م: (غرب):٧٦٦/٢.
[١٨]) قَالَ أَبُو بكر: البوصي: السَّفِينَة وَكَانَت بِالْفَارِسِيَّةِ بالزاي فقلبتها الْعَرَب صادا. جمهرة اللغة: (ج دد): ٨٧/١.
[١٩]) ديوان الحطيئة: ٣٩.
[٢٠]) ينظر: الحياة والموت في الشعر الجاهلي, لمصطفى عبد اللطيف جياووك, دار الحرية للطباعة_ ط١, ١٩٧٧:٣٣٧.
[٢١]) شعر الهذليين في الخطاب النقدي المعاصر, أطروحة دكتوراه لسعد جرجيس, جامعة الموصل_ كلية الآداب:٩٣.
[٢٢]) ينظر: شعر الرثاء في العصر الجاهلي دراسة فنية, لمصطفى عبد الشافي الشورى, الدار الجامعة للطباعة والنشر, ١٩٨٣: ١٤٧.
[٢٣]) ينظر: الموت في الشعر الجاهلي, حسين أحمد عبد الحميد, ط_١, ١٩٩١م, مطبعة الحسين الإسلامية: ١٠,١١,١٢,١٣,١٦.
[٢٤]) ديوان أوس: ٥٣.
[٢٥]) ديوانه:١٤.
[٢٦]) ديوان بشر:٩٣.
[٢٧]) صحل: الصحلّ: صَوْتٌ فيه بُحَّة, العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ), المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي, الناشر: دار ومكتبة الهلال: (الحاء والصاد):١١٧/٣.
[٢٨]) اتّضع فلان بعيره إذا كَانَ قَائِما فطامن من عُنُقه ليركبه, ينظر: تهذيب اللغة, محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ), المحقق: محمد عوض مرعب, الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م: (العين والضاد): ٤٩/٣.
[٢٩]) ديوان بشر: ٩٥.
[٣٠]) ديوان كعب: ١٣.
[٣١]) ديوانه:٥٦.
[٣٢]) ديوان الحطيئة: ٢٦٦.
[٣٣]) ديوانه: ٢٦١.

Bibliography

1. Refinement of the Language, Muhammad bin Ahmed bin Al-Azhari Al-Harawi, Abu Mansour (d. 370 AH), investigator: Muhammad Awad Marib, publisher: Arab Heritage Revival House - Beirut

2. Refinement of the Language, author: Muhammad bin Ahmed bin Al-Azhari Al-Harawi, Abu Mansour (d. 370 AH), editor: Muhammad Awad Marib, publisher: Arab Heritage Revival House - Beirut, 1st edition, 2001 AD: (AS): 1/283.

3. Jamarat al-Lughah, author: Abu Bakr Muhammad bin al-Hasan bin Duraid al-Azdi (d. 321 AH), editor: Ramzi Munir Baalbaki, publisher: Dar al-Ilm Lil-Millain - Beirut, edition: first, 1987 AD: (West): 2/766.

4. Nostalgia and alienation in poetry (Longing for Homelands), by Yahya Al-Jubouri, 1st edition, 2008, Majd Lawi Publishing and Distribution House, Amman, Jordan

5. Life and Death in Pre-Islamic Poetry, by Mustafa Abdul Latif Jiawuk, Freedom Printing House, 1st edition, 1977: 337.

6. Diwan Aws bin Hajar, edited by: Muhammad Yusuf Najm, Beirut Publishing House, 1980: 1.

7. Diwan Bishr bin Abi Khazim al-Asadi, edited by: Azza Hassan, Damascus_ Publications of the Directorate of Revival of Ancient Heritage, 196.

8. Poetry of lamentation in the pre-Islamic era, an artistic study, by Mustafa Abdel Shafi Al-Shura, Al-Dar Al-Jami'ah for Printing and Publishing, 1983: 147.

9. Poetry of the Hudhalis in Contemporary Critical Discourse, PhD thesis by Saad Jarjis, University of Mosul_College of Arts: 93.

10. Vampire Poets in the Pre-Islamic Era, by Youssef Khalif, Dar Al-Ma'arif, ed. 4:34.

11. Edition: First, 2001 AD: (Al-Ain and Al-Dad): 3/49.

12. Al-Ayn: Abu Abdul Rahman Al-Khalil bin Ahmed bin Amr bin Tamim Al-Farahidi Al-Basri (d. 170 AH), investigator: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samarrai, Publisher: Al-Hilal House and Library: (Al-Ha and Al-Sad): 3/117.

13. The Book of the Eye, by Abu Abdul Rahman Al-Khalil bin Ahmed bin Amr bin Tamim Al-Farahidi Al-Basri (d. 170 AH), editor: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samarrai, publisher: Al-Hilal House and Library: (West): 4/409.

14. Death in Pre-Islamic Poetry, Hussein Ahmed Abdel Hamid, 1st edition, 1991 AD, Al-Hussein Islamic Press:

15. Marx's theory of alienation or alienation, the free encyclopedia.

16. Diwan Antara, edited and studied by Muhammad Saeed, Publisher: Al-Maktab Al-Islami, 1st edition, 1964 AD: 66,67, and Alienation in Pre-Islamic Poetry, by Abdul Razzaq Al-Kharshoum, Arab Writers Union Publications, Damascus 1982: 20.